

- صفات الله سبحانه وتعالى - (الحياة ، السمع والبصر ، الكلام)-

مقدمة

صفة الحياة

صفة السمع والبصر

صفة الكلام

أسئلة الجمهور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، أحمدوه وأستعينه ، وأستهديه وأعوذ بالله من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده
ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى أتباعه
: وحزبه إلى يوم الدين أما بعد

فلا يزال حديثنا مسترسلا في صفات الله سبحانه وتعالى ، ونتحدث قبل كل شيء
عن صفة الحياة .

صفة الحياة :

هذه الصفة ثابتة لله سبحانه وتعالى بدلائل العقل ، وبحجة النقل ، فإن الإنسان يدرك إذا ما أبصر في هذا الكون وما يجري فيه وما هو عليه بأن موجدته ومدبره لا بد من أن يكون حيا ؛ لأن مما يدركه الإنسان من أول وهلة إذا نظر إلى هذا الكون أن مدبر هذا الكون ، وخالق هذا الكون ، يجب أن يكون قديرا ، وأن يكون عليما ، وأن يكون خبيرا ، وهذه الصفات لا يمكن أن توجد في الميت فإن العلم ، والقدرة ، والإرادة ، وأمثال هذه الصفات لا يمكن أن تكون في ميت ، ولذلك كان الإنسان يدرك من أول وهلة أن خالقه وخالق هذا الكون حي وقد ثبتت هذه الصفة بالأدلة النقلية القاطعة ، فالله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالحياة في كثير من آيات الكتاب العزيز قال الله تعالى { الله لا إله إلا هو الحي القيوم } (1) وقال سبحانه وتعالى { بسم الله الرحمن الرحيم ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم } (2) (وقال عز من قائل { وتوكل على الحي الذي لا يموت } (3)

إلى غير ذلك من الآيات التي ذكرت صفة الحياة لله سبحانه وتعالى ومما يجب علينا أن نعلمه أن حياة الله تعالى ليست كحياتنا ، ولا حياة أي شيء من مخلوقاته ، فهي حياة تختلف تمام الاختلاف عن حياة أي شيء من المخلوقات ، فقبل كل شيء حياة الله سبحانه وتعالى حياة أزلية أبدية ، لم يسبقها موت ولا يليها موت ، فهي حياة سابقة وهي حياة باقية ، وغيره سبحانه وتعالى من أي مخلوقاته حياته مسبوقة بموت " أي مسبوقة بعدم " ثم بعد ذلك يليها الموت فالله سبحانه وتعالى يقول { كل شيء هالك إلا وجهه } (4) ويقول تعالى { كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون } (5) وكنتم فأحياكم ثم إن حياة الله سبحانه وتعالى ليست حياة طبيعية كحياتنا

-
- 1- سورة البقرة ، الآية (255) .-
 - 2- سورة آل عمران ، الآية (2) .-
 - 3- سورة الفرقان ، الآية (58) .-
 - 4- سورة القصص ، الآية (88) .-
 - 5- سورة البقرة ، الآية (28) .-

لأن الطبيعة تفتقر إلى طابع ولو كان الله سبحانه وتعالى مطبوعا على شيء لكان مفتقرا إلى طابع طبعة على ذلك ، بينما حياة المخلوقات حياة طبيعية فحياته عز وجل ليست حياة تنفس ، وليست حياة حركة ، وليست حياة انفعال ، وليست حياة رطوبة ، وليست حياة نمو ، وإنما هي حياة لائقة بجلاله سبحانه وتعالى ولذلك قال بعض فلاسفة الإسلام : إن صفة الحياة بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى هي صفة أعظم من أن تصل إليها عقول البشر وإنما عبر عنها بهذا اللفظ الذي يوصف به البشر كما توصف به المخلوقات الأخرى الحية ، لأجل التقريب إلى الأذهان فصفته سبحانه وتعالى أجل وأسمى من أن تكتننها العقول ، أو تصل إليها مدارك الإفهام . ثم إن حياة الله سبحانه وتعالى حياة ذاتية من غير أن يكون هناك اجتماع بين جسم وروح ، فإن ذات الله تبارك وتعالى لا تشبه الذوات ولا تنقسم فلا يمكن أن توصف بأي صفة من صفات الذوات الأخرى لذلك كانت حياته أيضا تختلف عن حياة أي شيء من مخلوقات الله عز وجل ، وبعد هذا ننقل إلى صفتين متلازمتين في الذكر نجاهما في الكتاب المذكورتين سواء وهما صفتان . السمع والبصر .

صفة السمع والبصر :

فإن الله سبحانه وتعالى يذكرهما في القرآن الكريم معا يقول الله عز وجل { إنني معكما أسمع وأرى } (1) ويقول عز من قائل { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } (2) هاتان الصفتان من صفات ذاته تعالى فبالصفة الأولى التي هي صفة السمع ينفي عن الله سبحانه وتعالى وصف الصمم ، وبالصفة الثانية التي هي صفة البصر ينفي عن الله سبحانه وتعالى وصف العمى ، كما أن بصفة الحياة ينفي عن الله سبحانه وتعالى وصف الموت ، والأدلة العقلية كالأدلة النقلية دالة على وجوب اتصاف الله سبحانه وتعالى بهاتين الصفتين فإن العقل يدرك أن خالق هذه المخلوقات ومصورها ومنسقها ومدبرها لا يمكن أن يكون أعمى لا يراها فكيف قدر على خلق صورها ؟ ثم مع ذلك يعجز عن رؤيتها ومع ذلك

1- سورة طه ، الآية 46 .

2- سورة الشورى ، الآية 11 .

أيضا فإن الله سبحانه وتعالى وهب البصر لغيره وإن كان بصر غير بصرا جزئيا لا يمكن أن يقاس إلى بصره عز وجل ، غير أنه يدرك العقل من أول وهلة أن فاقد الشيء لا يعطيه .فالعاجز عن الإبصار لا يمكن أن يقدر غيره على الإبصار مادام هو بنفسه عاجزا عن القدرة على الإبصار كيف يخلق لغيره القدرة على ذلك فيتبين بذلك وجوب اتصافه سبحانه وتعالى بهذه الصفة ، وكذلك صفة السمع ، فإن الله تعالى الذي خلق الأصوات وأعطى عباده القدرة على استماعها لا يمكن أن يكون نفسه عاجزا عن سماعها ، فثبت بذلك أنه سبحانه وتعالى سميع بصير وسمع الله وبصره يختلفان عن سمع جميع المخلوقات وعن بصر جميع المخلوقات فإنه من المعروف عندنا أن البصر إنما يكون بما أودع الله سبحانه وتعالى في العين من خلايا تلتقط الذبذبات الضوئية التي تلتقط الصور تنعكس هذه الصور بواسطة هذه الذبذبات في هذه الحديقة المتكونة من هذه الخلايا ، ثم يمتد بعد ذلك انعكاسها إلى الدماغ الذي يميز ما بين صورة وأخرى ، وما بين شبح وآخر وذلك مستحيل على الله سبحانه وتعالى فإنه لا يمكن أبدا أن يكون إبصار الله سبحانه وتعالى بهذه الطريقة ، لأن هذا يؤدي إلى أن يكون الله سبحانه وتعالى مفتقرا إلى وجود خلايا فيه ، وإلى وجود الأنسجة التي تتصل ما بين هذه الخلايا البصرية ، والدماغ وإلى وجود دماغ ، وإلى وجود ضوء ، وذلك مستحيل على الله عز وجل ، وكذلك السمع وفي المخلوقات بما أودع الله سبحانه وتعالى في أسماع الناس من خلايا صوتية تلتقط الذبذبات الصوتية ، ثم تنقلها بواسطة الأنسجة إلى الدماغ وذلك مستحيل على الله سبحانه وتعالى ، لأن وجود أمثال هذه الأشياء أثر من آثار الصنع ، والصنع يدل على الصانع ، فوجود هذه الأشياء في مخلوقات الله سبحانه وتعالى دليل على أن الله عز وجل هو الذي صنعها ، وهو الذي نسقها ، وهو الذي رتبها فكيف يمكن أن يكون الله سبحانه وتعالى متصفا بذلك وقبل أن يصف الله سبحانه وتعالى نفسه بالسمع والبصر في آيتين من آيات الكتاب العزيز ، مهد لذلك أولا بنفي المثل عنه حيث قال { ليس كمثل شيء وهو السميع البصير } (3) .-

ثم إن سمع الله سبحانه وتعالى يختلف عن سمع المخلوقات أيضا من حيث إن الأصوات ولو تكاثرت لا تشتبه على سمعه سبحانه وتعالى فالله تعالى يسمع كل ما جرى في هذا الكون مهما خفت ومهما كان من شأنه من غير أن يخفى عليه شيء من ذلك وذلك ليس في قدرة المخلوقين ، يقول الله سبحانه وتعالى { لقد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما } (4) كانت عائشة (5) رضي الله عنها تخبر بأن هذه المرأة التي كانت تجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها كانت تخفت صوتها حتى أن عائشة رضي الله تعالى عنها مع كونها بمقربة منها كانت لا تسمع همساتها ، ومع ذلك فإن الله سبحانه وتعالى سمع صوتها ، وسمع كل شيء انطوى عليه هذا الصوت من المعاني من غير أن يخفى عليه شيء من ذلك مع كثرة ما يسمعه من مخلوقاته ويختلف أيضا بصر الله سبحانه وتعالى عن بصر المخلوقين ، من حيث . إن بصر المخلوق بصر جزئي

فالمخلوق لا يرى ما كان وراءه ، المخلوق يحتاج في الرؤية إلى أشياء يحتاج أن يرى ما كان مقابلا له بشرط ألا يكون بعيدا جدا منه ، وبشرط أن لا يكون لطيفا جدا كالنسيم ، وبشرط أن لا يكون ملتصقا بالعين وبشرط أن لا يكون دقيقا جدا كالميكروبات ، وبشرط أن يكون ذلك المرئ مضيئا بنفسه ، أو مستضيئا بغيره ، إلى غير ذلك وهذه الشروط تطرق. يطرق بصر الله سبحانه وتعالى فالله يبصر كل شيء على ما هو عليه ، من غير أن يعزب عن بصره شيء يقول الله تعالى { لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير } (6) فالأبصار وهي جمع بصر ، والبصر هو القوة البصرية التي أودعها الله سبحانه وتعالى في العين يدركها الله سبحانه وتعالى ، ويراها على ما هو عليه ، مع أن أي مخلوق لا يمكن أن يتوصل إلى إِبصار هذه القوة مهما كانت عنده من وسائل الاستكشاف .، ونستفيد في سلوكنا من اعتقادنا أن الله سبحانه وتعالى سميع بصير

لأن الطبيعة تفتقر إلى طابع ولو كان الله سبحانه وتعالى مطبوعا على شيء لكان مفتقرا إلى طابع طبيعة على ذلك ، بينما حياة المخلوقات حياة طبيعية فحياته عز وجل ليست حياة تنفس ، وليست حياة حركة ، وليست حياة انفعال ، وليست حياة رطوبة ، وليست حياة نمو ، وإنما هي حياة لائقة بجلاله سبحانه وتعالى ولذلك قال بعض فلاسفة الإسلام : إن صفة الحياة بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى هي صفة أعظم من أن تصل إليها عقول البشر وإنما عبر عنها بهذا اللفظ الذي يوصف به البشر كما توصف به المخلوقات الأخرى الحية ، لأجل التقريب إلى الأذهان فصفته سبحانه وتعالى أجل وأسمى من أن تكتننها العقول ، أو تصل إليها مدارك الإفهام . ثم إن حياة الله سبحانه وتعالى حياة ذاتية من غير أن يكون هناك اجتماع بين جسم وروح ، فإن ذات الله تبارك وتعالى لا تشبه الذوات ولا تنقسم فلا يمكن أن توصف بأي صفة من صفات الذوات الأخرى لذلك كانت حياته أيضا تختلف عن حياة أي شيء من مخلوقات الله عز وجل ، وبعد هذا ننقل إلى صفتين متلازمتين في الذكر نجاهما في الكتاب المذكورتين سواء وهما صفتان .
السمع والبصر .

. فائدتين كبيرتين .

الفائدة الأولى : التعلق بالله سبحانه وتعالى وحده وعدم المبالاة بغيره فإن الإنسان مادام على مسمع و مرأى من الله سبحانه وتعالى كيف يخاف غيره عز وجل ، وبهذا شد الله سبحانه وتعالى عزيمة موسى وهارون حيث قال لهما { إنني معكما أسمع وأرى } (7) شد عزمتهما على مواجهة فرعون الطاغية العنيد الذي استكبر في الأرض واتخذ عباد الله خولا ، ومال الله دولا ، وتأله بين الناس وقال لهم { ما علمت لكم من إله غيري } (8) فإن موسى وهارون عليهما السلام

. 7-سورة طه ، الآية 46 .

. 8- سورة القصص ، الآية 38 .

لما اعتذرا إلى الله عز وجل بلسان موسى خشية أن يطغى فرعون مع ما سبق من طغيانه أجابها الله تعالى بذلك بتثبيت عزيمتها وحسبنا أيضا أن الله سبحانه وتعالى يسمع كل دعاء يدعو به الداعي ، وإنما العبرة بإخلاص الإنسان دعاؤه لله تبارك وتعالى فإن الدعاء مخ العبادة فكما يخلص عبادته الله يجب أن يخلص دعاءه لله وهذا واضح في قوله تعالى { لقد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما } (9) كانت تشتكى إلى الله سبحانه وتعالى خافتة صوتها ومع ذلك فإن الله سبحانه وتعالى كان يسمع دعاءها يسمع شكواها التي تبثها ويسمع ما كانت تقوله للرسول صلى الله عليه وسلم فعلى العبد أن يتعلق بالله تبارك وتعالى في دعائه

وبهذا يتحرر الإنسان من التعلق بالأوهام ودعاء غير الله سبحانه كدعاء الموتى في القبور ودعاء الجان ، ودعاء ما يتوهمونه من قوى خفيه وراء مخلوقات الله سبحانه ، من أشجار ، وأحجار ، وعيون ، وأنهار ، إلى غير ذلك فكيف يترك الإنسان أن يدعو الله عز وجل الذي يسمع ويرى ويتبع هذه الأوهام فيأتي إلى شجرة طالبا منها ، أو من القوة الخفية التي يتصورها وراءها أن تقض له حاجة من الحاجات ، أو يأتي إلى حجرة أو يأتي إلى نهر ، أو يأتي إلى عين أو يأتي إلى أي شيء آخر أو يأتي إلى قبر ليدعو ميتا لا يسمع ولا يبصر . لا يغني عن نفسه شيئا فضلا عن أن يغني عن غيره شيئا ، إنما التعلق يجب أن يكون بالله سبحانه الذي يسمع ويرى الذي يعلم السر في السموات والأرض ، يرى دبيب النملة السوداء في الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، كما يرى سبحانه وتعالى جريان الماء تحت طبقات الماء وكذلك يسمع سبحانه وتعالى كل شيء . يجري في هذا الوجود فكيف يترك دعاء الله سبحانه ويتعلق بدعاء غيره ؟

والفائدة الثانية: التي نستفيدها من اعتقادنا أن الله سبحانه وتعالى سميع بصير ، هي مراقبة أنفسنا فيما نقوله ، وفي ما نعمله ، فإن الله على كل شيء شهيد يسمع كل ما نقول ويبصر كل الحركة التي نتحركها { ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقين عن اليمين

وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد { (10) } وقد أنذر الله تعالى اليهود الذين تجرءوا على الله فقالوا ما قالوا أنذرهم في ما أنزله من القرآن على قلب الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام حيث قال { لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق } (11) فعلى من تيقن أن الله سبحانه وتعالى سميع بصير لا تعزب عليه حرركاته ، ولا تعزب عليه همساته ، بل لا تعزب عليه طوايا ضميره ، عليه أن يراقب الله تعالى في سريرته وفي علانيته ، فإذا ما خلا فلا يقل إنه خال ولكن يعتقد أن عليه رقيباً يطلع على كل ما يجري منه وكل ما يصدر عنه وفي هذا ما يحفز الإنسان إلى العمل الصالح ، وإخلاصه لله سبحانه وينهه عن الأعمال السيئة ، وكم من أحد دفعته نفسه الأمانة بالسوء إلى ارتكاب المعاصي حتى إذا قارف تلك المعصية تذكر أن الله سبحانه سميع بصير .

وأن الله لا يعزب عنه عمله فنهه ذلك عن اقتراف المعصية وثاب إليه رشده وانكشفت شهوته ذلك لأن الله سبحانه يذكر عباده ، بمثل هذه العقيدة الصحيحة الراسخة في النفس بقوته وبإحاطته بكل شيء ويشير إلى ذلك قول الله سبحانه { إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون } (12) فطبيعة الإنسان تجره إلى الشر { وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي } (13) ولكن من شأن المؤمن أن يسرع إليه الارعواء والرجوع عن المعصية بمجرد ما يتذكر إحاطة الله تعالى به ، وقدرته عليه ، وعلمه بكل ما يصدر منه وإذا كان من شأن الإنسان أن يخشى رقابة مخلوق مثله فمن شأن الإنسان أن يراقب من هو أقوى منه ، وأن يراقب عيون من هو أقوى منه فيحرص على ألا تطلع تلك العيون على شيء يكرهه ذلك الذي هو أقوى منه ، فكيف لا يحرص هذا الإنسان على ألا يرى الله سبحانه وتعالى منه إلا ما يرضيه

-
- 10- سورة ق ، الآية 16 .
11- سورة آل عمران الآية 181 .
12- سورة الأعراف آية 201 .
13- سورة يوسف ، الآية 53

سبحانه ، فمن اعتقد حقا أن الله سميع بصير عليه أن يحرص بأن لا يراه الله تعالى حيث يسخط ، وألا يفقده الله تعالى حيث يرضى . وبعد الحديث عن هاتين الصفتين صفتي السمع والبصر ننتقل إلى الحديث عن صفة الكلام .

صفة الكلام :

وصفة الكلام ثابتة لله سبحانه وتعالى ، فهي صفة ذاتية كسائر الصفات الذاتية ، يراد بها نفي ضدها فبإثبات الكلام لله تعالى ينفي عنه الخرس وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن القول في كثير من آيات الكتاب العزيز فقد قال سبحانه وتعالى { إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون } (1) وقوله { إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون } (2) وقال عز من قائل { وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون } (3) وذكر الله تعالى في محكم كتابه العزيز أنه كلم موسى تكليما ، وذكر الله تعالى أيضا في محكم كتابه العزيز ما يكون من تكليم الله لعباده تعالى حيث قال { وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء } (4) .-

هذه الطرق التي يكلم بها الله سبحانه وتعالى عباده إما أن يكون هذا التكليم وحيا كالوحي الذي يوحيه الله تعالى بواسطة ملائكته على أنبيائه ورسله ، ويدخل في ذلك أيضا ما يوحيه الله عز وجل إلى الملائكة كما يدخل في ذلك أيضا ما يوحيه الله سبحانه إلى مخلوقاته بغير واسطة شيء كما سنتحدث عنه { وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب } (5) كما كلم الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء ، وذلك كما يرسل رسله إلى الناس ففي ذلك أيضا تكليم للناس لأن الخطاب الذي

1- سورة يس ، الآية 82 .

2- سورة النحل آيه 40 .

3- سورة البقرة آيه 30 .

4- سورة الشورى آيه 51 .

5- سورة الشورى آيه 51 .

يوحيه الله عز وجل إلى رسله هو خطاب شامل للأمم أولئك الرسل وقد تحدث العلماء عن الكلام النفسي وقالوا عنه بأنه كلام عاري من الأصوات والحروف ، وهذا أمر ظاهر كما قال الإمام ابن أبي نبهان(6) فقد ضرب الإمام ابن أبي نبهان مثلا لذلك لأجل التقريب إلى الأفهام فقال مثل هذا الكلام كمثل ما يجده الإنسان في نفسه وهو مخلوق فإن الله تبارك وتعالى قد جعل الدماغ سلطان لجميع الجوارح بما جعل الله تعالى فيه من نور العقل وبما جعل الله تعالى فيه من طاقات لم يودعها أي شيء من جسم الإنسان فهذا الدماغ هو الذي يوحى إلى سائر الجسم ، بأية حركة من حركاته بكلام عام من الأصوات والحروف ، فإذا أبصرت مثلا هذه الزجاجة فإن صورتها تنعكس في حدقتي وتتأدى بواسطة الأسلاك الدقيقة إلى الدماغ ثم يوحى الدماغ بما جعل الله تعالى فيه من طاقة وقوة إلى اليد بأن تتناول هذه الزجاجة وهكذا كل ما يراه الإنسان ويريد أن يتناوله فإنما يكون ذلك بوحى من الدماغ ، فإذا كان هذا المخلوق الذي في الإنسان أودع الله سبحانه وتعالى فيه هذه الطاقة العظيمة وجعله يأخذ ويعطى ويأمر وينهى بكلام عار من الأصوات والحروف ، فكيف بالله تعالى الذي قامت بقوميته السماوات والأرض ، فإنه أولى بأن يكون بأمر وينهى ويعطى ويمنع ، وأن يكون أمره ونهيه سبحانه وتعالى الذي يتوجه إلى هذه المخلوقات من غير أن يوحى وحيًا ظاهرا أن يكون هذا الأمر والنهي كلاما من الله عاريا من الأصوات والحروف ، وإثبات هذه الصفة لله عز وجل كما قلت إنما هو لأجل نفي الخرس عنه لأنه لو لم يكن الله تعالى متكلمًا لكان أبكم تعالى الله عنه ذلك علوا كبيرا ؛ لأن البكم عجز عن الكلام ولكن لما أن الله عز وجل مخالف لمخلوقاته في جميع صفاته فلا يشبهها ولا تشبه في شيء من الأشياء ، ولا في حال من الأحوال ، . كان تكليم الله تعالى لعباده بطريقة مخالفة لتكليم المخلوقات بعضها لبعض

وقد بينت ذلك الآية الكريمة التي في سورة الشورى { وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء } (7) والقرآن الكريم وسائر الكتب المنزلة هي أيضا من كلام الله عز وجل فإن الله سبحانه وتعالى يقول { وإن أحداً من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه } (8) أخبر عن كلامه عز وجل بأنه مسموع وهو القرآن الكريم هذا كلام مسموع يسمع من السنة البشر ، ولا يمكن أن يقال إنما هو كلام البشر لأنه هو كلام الله عز وجل ومثل ذلك ما يقول بعض العلماء مثل ما ينشئه أحدنا من الكلام الذي يقوله بلسانه أو الذي يكتبه بقلمه فإنه ينسب إليه ولا ينسب إلى غيره ، فقوائد الشعراء التي تتردد على الألسن لا يمكن أن تنسب إلى أصحاب تلك الألسن التي تتردد على شعر المتنبي (9) ينسب إليه فيقال هو شعر المتنبي ولا ينسب إلى قائله وشعر النابغة (10) ينسب إليه فيقال هو شعر النابغة

7- الشيخ ناصر بن أبي نبهان هو ناصر بن أبي نبهان جاعد بن خميس بن مبارك الخروصي وله أسم آخر أيضا وهو عبد الرحمن . ولد ببلد العليا من الرستاق في عام 1992 هـ في أسرة علمية فقد كان أبوه الشيخ أبو نبهان عالما بحراً في علوم الدين عامة أشتهر الشيخ ناصر بمقارعة الظلمة والطغاة عن طريق العلم ولقد أنتقل رحمه الله من عمان ألي ساحل إفريقيا وكان زاهدا في معاشه وحياته ومنه قوله :-

- معيشتنا خبز لغالب قوتنا
فإن حصلت مع صحة الجسم والتقى
وماء وليمون وملح وقاشع
فيا حبذا هذا بما هو قانع

8- سورة الشورى ، الآية 51
9- سورة التوبة ، الآية 6

10- المتنبي هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي الكندي المتنبي صاحب الأمثال السائدة ولد بالكوفة سنة 303 هـ في محلة كنده ، وإليها نسبته ونشأ بالشام قال الشعر صيبا وتنبا في بادية السماوة وبين الكوفة والشام فتبعه كثيرون وقبل أن يستفحل أمره خرج إليه لؤلؤ أمير حمص فأسره وسجنه حتى (أنظر الإعلام للزركلي بتصرف الجزء الأول ص 115)-

ولا يمكن أن ينسب إلى قائله وشعر البحري (11) ينسب إليه ، ولا يمكن أن ينسب إلى قارئه وإنما ينسب إلى قائله الأول ، وهكذا الخطب والمؤلفات يقال هذا كلام فلان . فلو قدرنا أن أحدا ألف كتابا ولم يتلفظ بلسانه بكلمة مما في ذلك الكتاب ، ولكن كتب ذلك الكتاب بقلمه فإن تلك الكتابة تنسب إليه ويقال هذا كلام فلان ، وإذا أراد أحد أن ينقل فقره من ذلك الكلام قال : قال فلان كذا وكذا وكذا مع أنه لعله لم يقرأ بلسانه شيئا مما كتبه بقلمه أبدا وضرب الشيخ ناصر بن أبي نيهان (13) مثلا لذلك بأن قال : أليس الله سبحانه وتعالى بقادر عند الكل بأن يأمر القلم فيكتب في اللوح ما يشاء من الكلام ، البليغ ، المركب من هذه الحروف والكلمات ، التي نتحدث بها ، ثم يأمر بعد ذلك أحد من الملائكة الأعلى فينزل بذلك الكلام إلى الأرض ثم يأمر بعد ذلك من نزل عليه ذلك الكلام بواسطة ذلك الملك من الملائكة الأعلى أن يبلغه إلى الناس وأن يأمرهم بأن يتلوه وأن يعملوا به أليس الله سبحانه وتعالى بقادر على ذلك ؟ بل إنه قادر فذلك مثل إنزال الله تعالى للقرآن ومثل نسبة القرآن إليه ، فإن ذلك الكلام الذي ينزل بواسطة على الإنسان الموجود في هذه الأرض ثم يتلى بعد ذلك على ألسن العباد لا يمكن أن ينسب إلى الناس الذين يتلونونه فيقال هذا كلامهم ولا يمكن ينسب إلى الشخص الذي أنزل إليه فيقال هذا كلام فلان ولا يمكن أن ينسب إلى الملك الذي نزل به فيقال هذا كلام الملك الفلاني ، ولا يمكن أن ينسب إلى اللوح الذي كتب فيه فيقال هذا كلام اللوح .

-
- 11- النابغة الذبياني هو أبو أمامه زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني أحد فحول الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية ، وزعيمهم بعكاظ ، ولقب بالنابغة ، لنبوغه . (في الشعر ، (انظر الإعلام للزركلي بتصريف ج 3 ص 54 - 55
- 12- هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي البحري شاعر كبير واحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم المتنبي ، وأبو تمام ، والبحري ولد سنة 206 هـ بناحية منبج في قبائل طي وغيرها من البدو فغلبت عليه الفصاحة ، ولازم أبا تمام وهو فتى وتخرج عليه ثم خرج إلى العراق واقام في خدمة المتوكل والفتح بن خاقان محترما عندهما ، إلى أن قتل في مجلس كان هو حاجزه ، فرجع إلى منبج بين أعراب طي ، وبقي يختلف أحيانا إلى رؤساء بغداد وسامراء ، حتى مات سنة 284 هـ (انظر الإعلام للزركلي بتصريف الجزء الثامن ص 121) .-
- 13- سبقت ترجمته

ولا يمكن أن ينسب إلى القلم الذي كتبه فيقال هذا كلام القلم ، ولكن يقال هو كلام رب العالمين سبحانه الذي أنشأه وأمر القلم ، بكتابته ، ثم أبقاه مرسوما في اللوح المحفوظ بأمره ، ثم أنزله بعد ذلك بواسطة من يشاء من ملائكته على من يشاء من عباده ، ثم أثبتته محفوظا في صدور العلماء ، ومكتوبا في صحفهم ، بهذا يتبين لنا أن القرآن الكريم هو كلام الله حقا ، هو كلام الله حقيقة لا مجازا وليس كلام أحد من خلقه ، فليس هو بكلام ملك ، ليس هو بكلام رسول ، ليس هو بكلام أحد ممن يتلوه ، وإنما هو كلام الله سبحانه وتعالى ، أما قول الله عز وجل { إنه لقول رسول كريم } (14) فذلك من باب المجاز ، وليس من باب الحقيقة ، هو في الحقيقة كلام الله تبارك وتعالى ، وسأتحدث إن شاء الله تعالى عندما أتى إلى . موضوع الإيمان بكتب الله سبحانه عن صفة الكلام بإسهاب

وهنا مسألة ما كنت أود أن أثيرها عندكم ولكن بما أنكم لا بد من أن تتطلعوا عليها في الكتب التي تقرأونها بل الكتب المقررة عندكم رأيت أن أتحدث عنها بشيء من الاختصار وقد قلت إنني لم أكن أود أن أثير هذه المسألة لأنها من المسائل التي لم تثر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في عهد صحابته رضي الله تعالى عنهم ، ولا في عهد التابعين ، وإنما أثيرت بعد ذلك عندما استجد علم الكلام وانقسم الناس إلى أقسام كل منهم أخذ برأي ، لا ريب أن الكل يعتقد أن الله سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال ، وأن صفاته تعالى على الضد من صفات العباد ، فهو سبحانه وتعالى متصف بالوجود ، ووجوده لا يشبه وجود المخلوقات ، وهو متصف بالحياة ، وحياته لا تشبه حياة المخلوقات وهو متصف بالعلم ، وعلمه لا يشبه علم المخلوقات ، وهو متصف بالقدرة ، وقدرته لا تشبه قدرة المخلوقات ، وهو متصف بالسمع وسمعه لا يشبه سمع المخلوقات ، وهو متصف بالبصر وبصره لا يشبه بصر المخلوقات ، وهو متصف بجميع صفات الكمال من غير أن يكون مشابها في ذلك بشيء من مخلوقاته . فهو سبحانه { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } (15) .-

14- سورة الحاقة ، الآية 40 .

15- سورة الشورى آية 11 .

فإذا قلنا إن الله تعالى عالم لا يعنى ذلك أن علمه كعلم المخلوقات ، فإن علم المخلوق كما قلت هو علم محدود نسبي جدا ، لأن ما يجهله المخلوق أكثر بكثير مما يعلمه بكثير بل ما يجهله المخلوق في نفسه ومن طبعه ومما اشتمل عليه جسمه أكثر بكثير مما يعلمه وما يجهله المخلوق من كل ذلك أكثر بكثير مما يعلمه إنما يعلم من ذلك شيئاً نسبياً قليلاً جداً ، فلذلك لا يمكن أن يقال بأن شيئاً من مخلوقات الله سبحانه وتعالى مشابه لله عز وجل في علمه فإذا قيل إن الله عليم ، ووصف المخلوق بأنه عليم فلا يعنى ذلك أن علم الله تعالى كعلم المخلوق ، ومثل ذلك القدرة فإن قدرته سبحانه وتعالى قدرة لا تقف عند حد ، ليست كقدرة مخلوقات الله عز وجل ، بينما قدرة المخلوق هي قدرة محدودة ، قدرة جزئية ، نسبية محدودة جداً ومثل ذلك في كل صفات الله سبحانه وتعالى الكل متفوقون على أن الله سبحانه عليم بكل شيء وأنه يعلم كل شيء قبل كونه ، فالله تعالى عليم في الأزل ، بكل ما يجري في هذا الكون عليم بكل حرف ينطق به أي أحد ، وعليم بكل ذرة في أي شيء من أجزاء هذا الكون بل عليم بكل ما تنطوي عليه أي ذرة من الذرات قبل أن يوجد الكون بأسره ، ومتصف بجميع هذه الصفات الكمالية ، وإنما بقي الكلام في ما أشير إليه وهو أن صفات ذاته سبحانه وتعالى هل هي مغايرة له ، أو هي عين ذاته هذه قضية لم تثر في عهود الصحابة ، ولا في عهود التابعين ، ومن بعدهم ، وإنما كانوا مكتفين بأن يعتقدوا أن الله سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال ، وأنه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ، وقد رأيت الإمام محمد بن عبد الله الخليلي (16) رحمه الله يقول : بأنه يتمنى لو أن المسلمين سكتوا عن هذه المسألة ولم يقولوا فيها شيئاً وقالوا إن الله سبحانه وتعالى متصف بكل هذه الصفات ، واكتفوا بهذا القدر وهذا الرأي يذهب إليه من العلماء المعاصرين الشيخ سيد سابق (17) في كتاب له في العقيدة ، فإنه يجنح

16- هو الإمام محمد بن عبد الله بن سعيد بن خلفان الخليلي رحمه الله تعالى من أئمة عمان ولد في سمائل وتفقه في شرقية عمان ببيع له بالإمامة في ذي القعدة سنة 1338 هـ الموافق 1920 م . انظر الإعلام للزركلي ج 6 ص 246 .

. نهضة الأعيان للسالمي ص 322-449

17- هو السيد محمد سابق ، ولد بالقاهرة حوالي سنة 1915 حفظ القرآن

، الكريم وهو صغير

إلى التوقف عن الخوض في هذه المسألة وقد تكلم فيها العلماء وبحثوها بحثوا واسعة كما ستجدون ذلك أو ستجدون بعض ذلك في بعض الكتب المقررة في كلية التربية والعلوم الإسلامية والخلاصة أن طائفة كبيرة وهم الأشعرية (18) ومن قال قولهم ذهبوا إلى أن صفات الذات هي غير الذات ، فقالوا إن الله عالم بعلم هو غيره ، وقادر بقدره هي غيره وسميع يسمع هو غيره ، وبصير ببصر هو غيره ، ومريد بإرادة هي غيره ، إلى غير ذلك وإنما اختلفوا في الوجود هل الوجود هو عين الذات أو الوجود هو غير الذات أيضا بينما نجد في مقابل هؤلاء الإباضية (19) والمعتزلة (20) وآخرين قالوا إن صفات ذاته سبحانه وتعالى لا يمكن أن تكون غير ذاته ، وإنما هي عين ذاته ، لأن الله سبحانه وتعالى ليس كمثل شيء فإذا كان أحدنا يفتقر إلى صفة وذاته لا تغنى عنه ذات وصفه فإن ذات الله سبحانه وتعالى تغنى عنه ذات وصفه ، تكفي عن الذات والصفة ومعنى ذلك أن الله عز وجل تتجلى لذاته العلية جميع الموجودات على اختلاف أنواعها ، تجليا تاما من غير احتياج إلى واسطة بينها وبين الذات ، تسمى علما فالله عليم بذاته لا بصفة زائدة على ذاته تكون واسطة ما بينه وبين معلوماته ، وكذلك ذاته العلية تنفعل لها الأشياء كلها انفعال تاما من غير احتياج إلى واسطة بين الذات العلية وبين هذه الأشياء المنفصلة تسمى هذه الواسطة قدرة والذات العلية تنفعل لها الأشياء أيضا باختيار الذات العلية من غير أن تكون ثم واسطة ما بين هذه الذات العلية وما بين انفعال هذه الأشياء هذه الواسطة تسمى إرادة ، وإنما الله سبحانه وتعالى مريد بذاته .

لأشعرية : نسبة إلى أبي الحسن الأشعرية ، الذي ولد بالبصرة سنة 260 هـ -18 وتوفي سنة 325 هـ ببغداد ، وإليه ينسب أهل السنة والحديث ، دراسات إسلامية . في الأصول الإباضية ص 137

لإباضية : نسبة إلى عبد الله بن إباض ، وهو تابعي ، عاصر معاوية وتوفي -19 . (أواخر أيام عبد الملك بن مروان ، (دراسات إسلامية بكير اعوشت ص136

المعتزلة : من أشهر الفرق الإسلامية فهي تعتمد على العقل بالدرجة الأولى -20 في فهم الأدلة الشرعية وأصول الإسلام (انظر دراسات إسلامية لبكير اعوشت . ص 143)

وتتكشف الصور للذات العلية ، انكشافا تاما على ما هي عليه من غير احتياج إلى واسطة بين الذات العلية وبين هذه الصور المنكشف تسمى هذه الواسطة بصر أو تتجلى أيضا الأصوات على اختلافها للذات العلية تجليا تاما من غير احتياج إلى واسطة مابين الذات العلية وما بين هذه الأصوات المتجلية تسمى هذه الواسطة سمعا ، فالله تعالى سميع بذاته ، وقدير بذاته ومريد بذاته ، وحي بذاته ، وغنى بذاته من غير أن يكون هنالك شيء مع الذات العلية ، وهذا القول إنما قالوه لأجل الإمعان في توحيد الله سبحانه وتعالى ، حتى لا تكون هنالك أغيار مع الله عز وجل فإن ذات الله تعالى تختلف عن ذوات المخلوقات وصفاته أيضا تختلف عن صفات المخلوقات ، فهو ليس كمثل شيء في ذاته ، ولا في صفاته ولا في أفعاله ومن ناحية أخرى راعوا ألا تكون الذات العلية مفتقرة إلى الأغيار ، وراعوا أيضا أن هذه الصفات لو كانت غير الذات فأما أن تكون سابقة على الذات في الوجود فتكون أولى منها بالألوهية ، لأجل إنها هي القديمة قبل الذات وهذا لم يقله أحد ، وأنها قديمه مع الذات فيلزم من ذلك تعدد القدماء ومع تعدد القدماء يمكن أن تتعدد الآلهة ، وإما أن تكون هذه الصفات حادثة بعد الذات العلية فيكون الله سبحانه وتعالى قبل أن يخلق العلم غير عالم ، وقبل أن يخلق القدرة غير قادر ، وقبل أن يخلق الإرادة غير مريد وقبل أن يخلق السمع غير سميع . وهكذا قالوا .

قالوا وكيف يمكن أن يخلق القدرة من غير أن يكون قديرا وإذا كان خلقها بقدرة أخرى فيحتاج إلى قدرة أخرى خلقها بها ثم هلم جر يحتاج أن يخلق تلك القدرة الأخرى أيضا بقدرة أخرى خلقها بها وهلم جر إلى مالا نهاية له ، والذين قالوا : بأن صفات الذات غير الذات لم يقولوا بحدوث هذه الصفات ، ما قالوا بأن الذات كانت وحدها في القدم بدون هذه الصفات مجددة عن هذه الصفات . وقالوا بأن هذه الصفات سابقة على الذات العلية في الوجود ، بل قالوا إن الذات العلية موجودة مع الصفات في الأزل وهؤلاء أيضا احتجوا بحجج منها قياس الغائب على الشاهد ، وذلك أنهم قالوا إن العلة والحد ، والشرطية ، في الغائب والشاهد سواء ، وقصدهم بالغائب هو الله سبحانه وتعالى لأنه غائب عن الأبصار ، لا لأنه غير قريب منا ، والمقصود بالشاهد هذه المخلوقات التي نشاهدها ، وذلك

أنهم قالوا إن علة تسمية العالم عالما في الشاهد وجود صفة العلم فيه ، وهذا العالم هو من قامت به صفة العلم وشرط تسمية الشيء بالمشتق أن يكون فيه أصل ذلك المشتق ، فشرط تسمية العالم عالما أن تكون فيه صفة العلم ، وشرط تسمية القدير قديرا أن تكون فيه صفة القدرة وهكذا وأجاب الآخرون بأنه لا يمكن أن يقاس الغائب على الشاهد لأن الله تعالى يقول { ليس كمثلته شيء } (21) .-

ولأن المخلوقات تختلف صفاتها عن صفات الخالق تبارك وتعالى ، فنجد في الشاهد العالم لا ينال العلم إلا بعد أن يتعلم أو بعد أن يعلم ذلك العلم ، وعلمه ينمو بنموه ، وقد يجهل شيئا ما كان يعلمه بالأمس ، فلأجل ذلك افترق الحال في الشاهد والغائب وإنما يكفي في تسمية الله سبحانه وتعالى عالما أن تكون ذات الله تبارك وتعالى العلية تنكشف لها الأشياء انكشافا تاما على حقيقتها من غير أن يخفى على تلك الذات شيء وعلى هذا فإن الصفات الذاتية إنما يراد به نفي أضدادها بالكلية فالعلم ينفي به الجهل ، والقدرة ينفي بها العجز ، والسمع ينفي به الصمم ، والبصر ينفي به العمى ، والحياة ينفي بها الموت ، الوجود ينفي به العدم ، والبقاء ينفي به الفناء ، وهلم جرا في بقية الصفات ومن أدلة الذين قالوا بأن صفات الذات غير الذات ، أنه لو كان الكل واحدا وهو عين الذات العلية للزم أن يكون مفهوم القدرة هو مفهوم العلم ، ومفهوم العلم هو مفهوم الحياة ، ومفهوم الحياة هو مفهوم السمع ، ومفهوم السمع هو مفهوم البصر وأجيب عن ذلك بأن هذه الصفات إنما اختلفت مفاهيمها باعتبار المقاصد التي تقصد بها فقد سبق أن العلم يقصد به نفي الجهل ، وان القدرة يقصد بها نفي العجز وأن الإرادة يقصد بها نفي الإكراه ، وان الحياة يقصد بها نفي الموت وهكذا . ثم قالوا أيضا : بأن اختلاف العبارات باختلاف المتجليات وإلا فالمتجلي له واحده وهو الله سبحانه وتعالى من غير أن تكون هنالك واسطة بينه وبين مخلوقاته ، وكرر مرة ثانية بأنني وددت لو أن المسلمين بقوا على ماكان عليه السلف ولم يثيروا هذه الأشياء مع اعتقادهم ، أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير ولم أثر هذه المسألة إلا لأنني واثق بأنكم ستطلعون عليها في الكتب المقررة عنكم وقد تتساءلون فيها فيما بينكم أسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم للحق وأن يهدينا وإياكم سواء الصراط إنه على كل شيء قدير وصل الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الأسئلة :

السؤال الأول : يقول قائل ما القول فيمن يقول إن الله له أذن ولكن ليس كأذاننا وله عين وليس كأعيننا وله يد وليس كأيدينا ويستدل بأية ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ؟

الجواب : يلزم من ذلك أن يكون الله سبحانه وتعالى متجزءا لأنه إذا كانت له أذن طبعا يلزم أن تكون هي غير العين وإذا كانت له عين يلزم أن تكون غير اليد وهلم جرا فالله سبحانه وتعالى لا يتجزأ وإنما هذه الصفات تحمل على ما يراد بها تحمل على مقاصدها فإن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم كتابا عربيا والكلام العربي فيه الحقيقة والمجاز وجاء في كلام العرب قديمه وحديثه إطلاق الألفاظ على غير حقائقها التي وضعت لها من أمثلة ذلك إطلاق اليد على القدرة أو على القبضة فإن الشاعر يقول :-

ر - وغداة ريح قد كشفت وقرة إذا صبحت بيد الشمال زمامها(1)

أصبحت بيد الشمال ليست يد للشمال وليس زمام للغداة ليس زمام للغداة ولا يد للشمال وإنما ذلك من باب المجاز ويقول الله سبحانه وتعالى { واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا } (2) مع أن الحبل هو معروف هو جسم يصل ما بين جانبيين جسم مفتول يصل ما بين الجانبين هذا الجانب وهذا الجانب ولكن بما أن دين الله سبحانه يصل العباد بالله عز وجل ثم يصل بين العباد أنفسهم بعضهم بعض سمي هذا الدين حبالا ويقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم { لا يأتيه الباطل من :-

- وفي يدك السيف الذي امتنعت به صفاة الهدى من أن ترَق فتخرقا

1- هذا البيت من معلقة لبئد بن ربيعة (معلقة لبئد ص 61) .-

2- سورة آل عمران آية 103 .

3- سورة فصلت الآية 42 .

4- سورة الأعراف الآية 57 .

السؤال الثاني : يوصف الإنسان بالحياة بسبب ما أودع الله سبحانه وتعالى فيه من أسرار الحياة وهي الروح ، فإذا ما أخذ الله هذه الروح وصف ذلك الإنسان بأنه ميت فهل لله روح حيث قال بعد فراغه من خلق آدم { ونفخت فيه من روحي } (7)؟

الجواب : التجروء على مثل هذا الاعتقاد يؤدي إلى ما أدت إليه عقيدة النصارى من اعتقاد أن عيسى عليه السلام هو ابن الله ، وأنه عليه السلام اصطبغ بالصبغة الربانية الروح أضيفت إلى الله لأنها سر من أسرار الله فيضاف إلى اسم الله سبحانه وتعالى ما كان مختصا بالله ، وإن كان كل ما في السماوات والأرض ملكا لله ، فيقال في الكعبة البيت الحرام بيت الله هل معنى ذلك أن الكعبة البيت الحرام سكن لله تعالى الله عن ذلك ، ويقال أيضا في الفقراء بأنهم عيال الله ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى يرعاهم ويوجب على عباده أن يحرصوا على رعايتهم فلذلك سموا عيال الله ، وهكذا كل ما يوجد من أمثال هذه الأشياء فإضافة الروح إلى الله عز وجل في قوله { ونفخت فيه من روحي } (8) وفي قوله { ونفخ فيه من روحي } (9) وأمثال ذلك إنما لأجل أن الله سبحانه وتعالى جعل الروح سرا من أسرارها فأضيفت الروح إليه لأجل هذا الاختصاص { قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا } (10) وإلا فالروح نفسها مخلوقة والله سبحانه وتعالى حياته لا تتوقف كما قلت على ما تتوقف عليه حياة البشر ، لا تشابه بين حياة الله وحياة البشر .

7- سورة ص الآية 72 .

8- سورة ص الآية 72 .

9- سورة السجدة الآية 9 .

10- سورة الإسراء الآية 85 .

السؤال الثالث : ذكرت أن من أدلة الذين يقولون أن صفات الذات هي غير الذات قياس الغائب على الشاهد فالغائب هو الله ما المقصود بالشاهد ؟

الجواب : الشاهد قلت الشاهد المخلوقات قلت في تفسير الشاهد بأن المقصود بالشاهد المخلوقات .

السؤال الرابع : كيف تسمع الملائكة كلام الله عز وجل ؟

الجواب : الله سبحانه وتعالى أخبرنا أنه يكلم الملائكة ونحن نؤمن بذلك ولم يوقفنا سبحانه وتعالى على كيفية سماع الملائكة لكلامه عز وجل وإنما ذكر المفسرون في ذلك ما ذكروا ومن المفسرين الذين تحدثوا عن هذه المسألة العلامة ابن عاشور (11) وقد أجاد في الحديث قال : بأن ذلك يمكن أن يكون بفهم يخلقه الله سبحانه وتعالى في الملائكة يدركون به مراد الله عز وجل ويمكن أن يخلق الله سبحانه وتعالى لهم صوتا يسمعون منه مراد الله تعالى .

السؤال الخامس : ماذا نفهم من قوله تعالى { وكلم الله موسى تكليما } (12) ؟

الجواب : نفهم بأن الله سبحانه وتعالى كلم موسى بدون واسطة ؛ أي لم يرسل إليه ملكا في حالة التكليم ، لم يرسل إليه ملكا كما أرسل إليه في حال إنزال التوراة ، وكما أرسل الملائكة إلى أنبياء الله عز وجل ، وعندما سمع موسى عليه السلام الصوت أتى إليه من جميع الجوانب فكيف هذا الصوت الله تعالى هو العليم به نعتقد أن الله تعالى ليس كمثله شيء ، ونعتقد بأن الله تعالى على كل شيء قدير ، ويمكن أن يأتي هذا الصوت من جوانب متعددة ويمكن أن يأتيه من جانب واحد ، والله تعالى على كل شيء قدير ، وهذا أمر لم يوقفنا الله عليه . فنستحب عدم الخوض فيه .

11- هو الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس من مواليد سنة 1393 هـ عين عام 1932 م .
12- سورة النساء ، الآية 164 .

السؤال السادس : بما أن الله تعالى يعلم خفايا البشر وخفايا كل شيء ، فهو يعلم نوايا القلب ، فهل الله سبحانه وتعالى يحاسب الناس ويعاقب ويثيب على نية الإنسان وإن لم يقلها ؟

الجواب : الله تعالى قال في معرض التحذير لنا { لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله } (13) وإنما من فضل الله على عباده أن الذي ينوي حسنة ثم لا يعملها لسبب من الأسباب يكتبها الله تعالى له حسنة والذي ينوي سيئة ثم يتراجع عن ارتكاب تلك السيئة التي ينويها الله سبحانه وتعالى يتجاوزها عنه لأنه يتراجع عن ارتكابها خوفا من الله عز وجل فإن الله سبحانه وتعالى يتجاوز عنها ، وإلا فالذين يصرون في قرارة نفوسهم على معصية الله فإنهم يحاسبون ويجزون على ما في طوايا نفوسهم .

السؤال السابع : سؤال عن قوله عز وجل { وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون } (14) ما المقصود بالإيحاء ؟

الجواب : الإيحاء هنا هو الإلهام .

السؤال الثامن : في الدنيا لغات متعددة فعلى أي لغة يحشر الناس وعلى أي لغة سيحاسبون وما هي لغة أهل الجنة ؟

الجواب : الذي تدل عليه الدلائل أنهم سيحشرون وسيحاسبون باللغة التي اختارها الله سبحانه وتعالى لأن تكون لغة أهل الجنة ، واختارها لأن تكون وعاء لكلامهم . الخالد للقرآن الكريم هي اللغة العربية .

السؤال التاسع : ذكرت بأنه لا يجوز أن يأتي شخص لقبر ، أو شجرة ، أو حجرة يطلب معافاة أحد ، فما قولك في عين الإنسان إذا أصابت طفلا وكان من آثارها

13-سورة البقرة آية 284 .

14-سورة النحل آية 68 .

تشويها خلقيا وهذا بأذن الله ، ثم ذهب إلى أحد الصالحين ليتعوذ عليه ليسد تلك العين عنه بإذن الله ؟

الجواب : هذا دعاء والدعاء غير ممنوع ، الرقية غير ممنوعة ، إذا كانت بالقرآن الكريم ، وبالكلمات التي يرضاها الله بالدعاء ، وأما أن يأتي أحد إلى قبر أو إلى شجرة أو وإلى حجرة طالبا قضاء حاجة من الحاجات فهذه من الشركيات ، فإن الله سبحانه علمنا أن نفرده بالاستعانة كما علمنا أن نفرده بالعبادة { إياك نعبد وإياك نستعين } (15) هذه استعانة بالله سبحانه وتعالى مادام في الأمر دعاء .

السؤال العاشر : نجد في كثير من آيات القرآن ، أن صفة السمع تقدم على صفة البصر ، وكذلك السمع يذكر مفردا والبصر يذكر بصيغة الجمع فهل صفة السمع أنفع للإنسان من صفة البصر ؟

الجواب : كثير من الناس فضلوا السمع على البصر ، ونسأل الله تعالى العافية في السمع والبصر ، الله سبحانه وتعالى هو الذي أنعم علينا بموهبة السمع وبموهبة البصر ، فنسأل الله تعالى أن يمتعنا بهما وأن يجعلهما الوارث منا ، وكل نعمة يدري الإنسان قيمتها إذا فقدها ، وإذا أردتم أن تعرفوا قيمة السمع فسألوا الصم وإذا أردتم أن تعرفوا قيمة البصر فسألوا العمى ، ومجيء السمع مفردا في القرآن مع جمع الأبصار في كثير من الآيات لأن السمع يأتي على وتيرة واحدة بخلاف المبصرات فإنها تتنوع ولذلك يجمع البصر ويفرد السمع .

السؤال الحادي عشر : من صفات الله الكلام فهل كلام الله أزلي أم هو حادث ؟

الجواب : أما بالنسبة إلى نفي الكلام الذي هو صفة يقصد بها نفي ضدها نفي الخرس عن الله فهذه ذاتية قديمة ، وأما بالنظر إلى إحداث الكلام فإن من المعلوم أن كل شيء يأتي في وقت في زمن معين ذلك حادث بالفطرة يدرك

السؤال الثاني عشر : ما هو السلوك السلبي الذي يتكون باعتقاد أن صفات الله غير ذاتية ؟

. الجواب : يخشى ذلك أن يجر إلى اعتقاد تعدد القدماء مع الله سبحانه وتعالى

السؤال الثالث عشر : كيف يرد على من يقول هل يرى الله ذاته ؟

الجواب : الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير ، وليس كمثلته شيء وهو السميع البصير ، ويكفي أن نعتقد ذلك

ونسأل الله تعالى العفو والعافية وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .